

تفسير أبي السعود

27 - تعالى لقد أرسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لإظهار مزيد الاعتناء بالأمر أي وبا^١ لقد أرسلناهما وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم أي من الذرية أو من المرسل إليهم المدلول عليهم بذكر الإرسال والمرسلين مهتد إلى الحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والإيذان بغلبة الضلال وكثرتهم ثم قفينا على آثارهم برسلنا أي ثم أرسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلنا إليهم أو من عاصرهم من الرسل لا للذرية فإن الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة فإنه أعجمي لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رأفة على فعالة ورحمة أي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شأن أصحاب النبي E رحماء بينهم ورهبانية منصوب أما يعفل مضر يفسره والظاهر أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها وأما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها أي وجعلنا في قلوبهم رأفة روحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم أي ووفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرء بضم الراء كأنها نسبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم إياها أن الجابرة طهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقاتلوا حتى لم يبق منهم إلا قليل فخافوا أن يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها عليهم جملة مستأنفة وقيل صفة أخرى لرهبانية والنفى على الوجه الأول متوجه إلى أصل الفعل وقوله تعالى إلا ابتغاء رضوانا^٢ استثناء منقطع أي ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم رأسا ابتدعوها ابتغاء رضوانا^٣ فذمهم حينئذ بقوله تعالى فما رعوها حق رعايتها من حيث إن النذر عهد مع^٤ لا يحل نكثه لا سيما إذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه إلى قيده لا إلى نفسه ولاستثناء متصل من اعم العلل أي ما كتبناها عليهم بأن وفقناهم لا بتداعها لشيء من الأشياء إلا لابتغوا بها رضوانا^٥ ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم فآتيناه الذين آمنوا منهم إيمانا صحيحا وهو الإيمان برسول^٦ A بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فإنها بعد البعثة لغو محض

